

موقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من القضية الفلسطينية (1936-1948م)

-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا -

*The position of the Algerian reform movement on the Palestinian issue
(1936-1948) - Algerian Muslim Scholars Association as a model*

أ.د. سعودي أحمد*

جامعة عمارثليجي - الأغواط (الجزائر) a.saoudi@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال: 2023/05/09 تاريخ القبول: 2023/06/02 تاريخ النشر: 2023/06/30

الملخص: لقد وجد الجزائريون في القضية الفلسطينية أكثر من غيرها من القضايا العربية والإسلامية عبر تاريخهم الحديث والمعاصر ما يعكس بداخلهم ذلك الإحساس الديني والشعور القومي والتطلع الإنساني للتحرر والانعقاد، وتلك كلها أبعاد تجتمع في فلسطين وقضيتها دون غيرها من القضايا، وفلسطين وقدها أولى القبليين وثالث الحرمين ومسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وفلسطين أرض عربية مغتصبة يجب أن يسهم الكل في تحريرها والذود عنها، والقضية الفلسطينية ببعدها السياسي والقانوني ثورة شعب محتل يريد التحرر والانعقاد وإستعادة أرضه وسيادته المغتصبة.

وفي هذه الورقة البحثية سنتطرق لموقف طرف أصيل من مكونات الشعب الجزائري وتاريخه المليء بالجهاد والنضال، ألا وهو الحركة الإصلاحية الجزائرية ذات التوجه العربي الإسلامي الأصيل ، ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، متبعين اهتمامها ومدى تفاعلها ميدانيا وأديبا مع تطورات القضية الفلسطينية ما بين 1936-1948م من خلال أبرز الأحداث المعلمية لتلك القضية.

الكلمات المفتاحية: فلسطين ؛ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ؛ الجزائر ؛ الصهيونية

؛ الاحتلال الإسرائيلي ؛ المقاومة ؛ التحرر.

Abstract

The Algerians have found more in the Palestinian issue than other Arab and Islamic issues throughout modern and contemporary history, which reflects within them the religious feeling, the national feeling, and the human aspiration for liberation and emancipation, and these are all dimensions that meet in Palestine and not others. May God's prayers and peace be upon them, and Palestine is a usurped Arab land that everyone should contribute to liberating and defending from it. The Palestinian issue, with its political dimension, is a revolution of a people who wants liberation and emancipation.

In this research paper, we will look at the position of an authentic party on the components of the Algerian people and its history full of jihad and struggle, which is the Algerian reform movement with an Arab-Islamic orientation, represented in the Association of Algerian Muslim Scholars, tracing its interest and extent of its interaction with the developments of the Palestinian issue between 1936-1948.

Key words :

Palestine; Algeria; Algerian Muslim Scholars Association; Zionism; Israeli occupation; resistance; liberation.

مقدمة:

لقد نالت فلسطين ولا زالت في الوجدان الجزائري الفردي والجمعي مرتبة خاصة ومميزة من بين كل الأقطار العربية الشقيقة ، ولا زالت فلسطين ونضالها التحرري لا تغيب عن أية مناسبة ثقافية أو سياسية وحتى رياضية وفنية تحتضنها الجزائر على امتداد جغرافيتها وولاياتها، ولا يختلف إثنان في أن هذا الشعور مشترك لدى مختلف فئات الشعب الجزائري من سياسيين ومثقفين و علماء ورجال دين وحتى الفئات البسيطة محدودة المستوى والتي تشترك كلها في اعتبارها أن فلسطين قضية الأمة العربية والإسلامية المركزية التي يجب الالتفاف حولها ودعمها بكل ما هو متاح من الإمكانيات ، فلا تجد جزائريا صغيرا او كبيرا لا يعرف ولا يردد مقولة: " أن الجزائر مع فلسطين ظالمة أو مظلومة".

ورغم أن الجزائر كانت محتلة منذ 1830، وعند قيام الكيان الصهيوني في فلسطين سنة 1948م ، كان قد مضى على احتلال الجزائر أكثر من قرن كامل، فإن الجزائريين ورغم

أوضاعهم الصعبة تحت نير المحتل الفرنسي لم يتوانوا أو يتأخروا في دعم أشقائهم الفلسطينيين ماديا ومعنويا ، متى توفرت الفرصة مدركين أن تحرر فلسطين هو تحرر للجزائر ذاتها ، وأن جهات الجهاد في الجزائر أو فلسطين هي جهة واحدة وضد محتل واحد تستوجب الدعم والتأييد والحشد ما ديا ومعنويا ، وهل هنالك افضل من علماء الأمة ورموز إصلاحها من يكون في مقدمة الركب، وهذا ما كانت عليه فعلا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ نشأتها سنة 1931م.

1. جذور اهتمام الحركة الإصلاحية الجزائرية بالقضية الفلسطينية قبل 1931م: أبدى العديد من رجال الحركة الإصلاحية في الجزائر اهتماما مبكرا بالقضية الفلسطينية حتى قبل تاريخ 1931م، أي قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائرية كأبرز الجمعيات الممثلة لهذا التيار ،ومن أشهر و أول من اعتنى بهذا الموضوع و كتب كثيرا عن جهود الجزائر وفلسطين ، و فضح نشاطات الصهيونية مشرقا ومغربا آنذاك أحد أعمدة الصحافة الجزائرية العربية الإسلامية في الجزائر ، الصحفي "عمر راسم" من خلال مقالاته في العديد من صحف و جرائد تلك المرحلة ومنذ فترة مبكرة، فقد كتب منذ سنة 1913م مقالا في جريدة "الفاوق" يتحدث فيه عن سلوكات هؤلاء قال فيه: "...أيا معشر المسلمين في مصائب التهلكة الحالية ، بمساعي اليهود أعدائنا بصريح القرآن، لقد اختلسوا منا ثروتنا لأنهم يبغضوننا، ...وما من بلاء نزل في مشارق الأرض ومغاربها إلا من أولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وحكم عليهم بالشتات...." (ناصر، المقالة الصحفية، 1978، صفحة 400) ، كما تصدى عمر راسم بوضوح للسعي نحو أية حلول وسطى تحت مفاد أنها ترضي اليهود وتحفظ للفلسطينيين والعرب والمسلمين حقهم في فلسطين والقدس ، فقد رد في مقال قوي اللهجة على الشيخ محمد رشيد رضا ، صاحب جريدة "المنار" الصادرة بالقاهرة جاء فيه: "إن اتفاق زعماء العرب الفاتحين وأهل البلاد مع زعماء اليهود مستحيل، لأنه إقرار بزعمامة اليهود، فلا يحق لغير العرب، ولا لغير راية الإسلام أن تخفق علمها.... مادام في أجسام المسلمين روح" (خرفي، 1977، صفحة 35). وبذلك فهو من الذين نفوا مبكرا إمكانية أي حلول سلمية أو تسويات مع اليهود يمكن أن تضمن حقوق الشعب الفلسطيني وفلسطين العربية المسلمة

باعتبار أن ذلك يشكل تنازلاً واضحاً عن فلسطين العربية المسلمة لأي طرف كان. وبالإضافة إلى الشيخ عمر راسم فقد حذر الشيخ "سعيد الزاهري" وهو من أشهر الأقلام الإصلاحية الجزائرية في حينه من أخطار الصهيونية وخطتها في البلاد العربية والإسلامية، فكتب مقالاً في جريدة "البرق" مما جاء فيه: "نحن الجزائريون يسوؤنا والله أن نرى أموال بلادنا وخيراتنا ذاهبة إلى بلاد إغتصبها الصهاينة من يد إخواننا... يقول اليهود أن فلسطين ملك لهم بأمر من الرب؟.. فليعلموا أن فلسطين هي أرض عربية إسلامية." (ناصر، المقالة الصحفية، 1978، صفحة 405).

وبعد اندلاع ما يعرف بحوادث (1929 م) حول حائط البراق، هتف الشيخ سعيد الزاهري في مقالات متعددة مستنجدا وداعياً المسلمين الجزائريين لمساعدة إخوانهم في فلسطين، بجمع التبرعات وإمدادهم بالقوة المادية.

أما العلم الآخر من أعلام الصحافة العربية الإسلامية في الجزائر فهو الشيخ "أبو اليقظان" والذي كتب بدوره حول حوادث البراق (1929 م) وانتفاضتها الشهيرة في جريدته "ميزاب" سنة (1930 م) مقالاً عنوانه ب: "مسألة فلسطين" مما جاء فيه قوله: "إن كل من يمعن النظر ويدقق البحث في قوادم المسألة وحوافها يجد أن المسألة ليست مسألة المبكى أو البراق وإنما حقيقة المسألة هي السرطان الصهيوني الناشب مخالفه في خناق العالم، الظاهرة عوارضه الراهنة في فردوس الإسلام وجنة الأرضين ومقر أنبياء الله فلسطين." (خرفي، 1977، صفحة 36) وهكذا يتضح كيف أن "أبي اليقظان" قد أظهر عناية فائقة بالقضية الفلسطينية منذ أن اتضحت خيوط المؤامرة التي نسجتها يد بلفور الأثمة في المنطقة، فكان يقوم بنشر كل الأخبار التي تصدرها اللجنة الفلسطينية العربية برئاسة "محمد علي الطاهر" الذي كان من أصدقائه ومراسليه (ناصر، أبو اليقضان وجهاد الكلمة، 1983، صفحة 138). لقد كانت القضية الفلسطينية عند "أبي اليقظان" حقاً بمثابة القلب من الجسد فهو يرى أن لا صلاح للجسد دون صلاح القلب، كما أن الرجل لم يألوا أي جهد في استنهاض الأمة الإسلامية وتذكيرها بهول موقف كل فرد منها أمام الله، إن هي تأخرت عن القيام بواجبها تجاه

فلسطين إذ يقول: "...فالويل كل الويل من الفزع الأكبر، لكل أمة لم تقدر للمستقبل قيمته ولم تنزهه بميزانه، فانقسمت طوائف وأحزاب وتفرقت قبائل وعشائر..." (ناصر، المقالة الصحفية، 1978، صفحة 140).

أما الصحفي ذائع الصيت "عمر بن قدور" الذي أصدر جريدة "الفاروق" سنة (1913م) فقد كانت مقالاته تؤثر بوضوح إلى عمق علاقته بالإسلام والمسلمين، وبعمق الأسى الذي كان يعاينه جراء ما يجري بفلسطين من مؤامرات ومخططات صهيونية - غربية ستنتهي حتما بضياح فلسطين شبرا شبرا (ناصر، فلسطين وأقلام جزائرية، 1977).

وقد ازدادت عناية الجزائريين بقضية فلسطين بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام (1931م)، فصدحت أصوات رجالها وفاضت أقلام كتابها وصحفيها وشعرائها حول فلسطين مشيدين بكفاح أبنائها ومهاجمين السياسة البريطانية المتواطئة مع اليهود فأثاروا بذلك الحمية والنصرة العربية في نفوس الجزائريين (محمد د.، 2009، الصفحات 9-13).

و مما يلاحظ أن ردود ومواقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد واكبت ورافقت كل الأحداث الفلسطينية، رغم ما كانت تعانيه من تضيق كبير من لدن الإدارة الفرنسية في الجزائر، ورغم الوضع المزري الذي كان الشعب الجزائري يعيشه في ظل الاحتلال الفرنسي الغاشم، في تحد صريح لكل أشكال الاستعمار و الاحتلال والاستيطان سواء في فلسطين أو الجزائر، وعليه فقد وعت الجمعية وعي الخبير بالصهيونية ومكائدها منذ بدايتها، فتحملت مسؤولية كشفهم ومساندة الفلسطينيين ماديا ومعنويا، كما كانت لا تتوقف عن نقد الحكام العرب على مواقفهم المتخاذلة تجاه القضية الفلسطينية (التحرير، فلسطين، 1938، صفحة 01)، فكان أعضاء الجمعية وعن طريق صحف الجمعية المختلفة أو من خلال صحفهم الخاصة ينشرون وقائع القضية الفلسطينية على وجه الخصوص ويرسلون عبرها صيحاتهم إلى العالم الإسلامي لمساعدة إخوانهم الفلسطينيين، وبذلك كانت القضية الفلسطينية في مقدمة القضايا العربية التي تفاعل معها الجزائريون عموما، وجمعية العلماء

المسلمين بشكل خاص . (Changlland, 1971, p. 64) .

لقد اعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس بصفته رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلماء من أعلام الإصلاح في العالم الإسلامي آنذاك أن الدفاع عن أي بلد إسلامي يُعتدى عليه من أوجب واجبات المسلم لأن ذلك اعتداء على الوطن الإسلامي كله (عمر، 2008، الصفحات 63 - 64) ، فابن باديس واصحابه كانوا يعلنون وبالصوت العالي انتسابهم للامة العربية ولم يكونوا يشعرون أنهم يشاطرون إخوانهم العرب نفس الاحاسيس فحسب بل كانوا يسعون أيضا إلى تعزيز وحدة الشعور هاته بعلاقاتهم الشخصية مع الشخصيات السياسية و الأدبية المشهورين بتفانيهم للقضايا العربية.

2. متابعة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وموقفها من الانتفاضات الفلسطينية المتعاقبة:

أ- موقفها من ثورة الشهيد عز الدين القسام:

عند انفجار ثورة الشهيد عز الدين القسام في وجه الإنجليز و العصابات اليهودية في (نوفمبر 1935م)، نشرت جريدة الشهاب مقالا حللت فيه أسباب الثورة و أبعادها ،فالأحوال التي أصبح عليها الشعب الفلسطيني حسب الشهاب كانت نتيجة حتمية لتحيز بريطانيا ودعمها المطلق لليهود و انتهاكاتهم بفلسطين ، فكانت تنتزع أراضي الفلسطينيين وتقدمها لليهود الصهاينة بالإضافة إلى المساعدات المادية وحتى الأسلحة في خرق واضح لقانون الانتداب ، وذهبت الجريدة إلى أن كل الجهود المبذولة من طرف الفلسطينيين والمسامي السياسية لإقناع بريطانيا على تغيير موقفها وإنصافهم كانت فاشلة ، هذا وقد أشادت المجلة بمواقف العرب الفلسطينيين الذين نظموا هذه الثورة وباركت شهدائهم وأنهم بداية الطريق نحو الانعتاق والتحرر، كما أرجعت سبب استشهاد عز الدين القسام وبعض أقرانه إلى عدم تكافؤ القوى ، ورأت الجريدة أن هذه الثورة وإن لم تصل إلى مبتغاها إلا أنها قد أيقظت ضمائر الشعب الفلسطيني ونهته إلى مشروعية جهاده لإسترجاع وطنه وأرضه وأشعلت في نفسه الحماس للجهاد ورفعت من معنوياته (التحرير، فلسطين، 1935، صفحة 174).

ب- مواقف الجمعية من الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939م):

شغلت هذه الثورة باعتبارها حدثا كبيرا عرفته فلسطين ابتداء من سنة 1936م، اهتمام كتاب الجمعية و معظم الجزائريين طيلة كل مراحلها (Ali, 1971, p. 246)، حيث تابعت

صحف الجمعية الثورة الكبرى باهتمام بالغ خلال كل مراحلها ، متتبعه أسبابها ومجريات الإضراب الشامل الذي عم البلاد الفلسطينية، والحوادث الدامية التي رافقته ، فقدمت المقالات الكثيرة التي نقلت أحداث هذه الثورة للقارئ أدق تفاصيلها مع التحليلات والدعوة إلى مواصلة الثورة حتى تُسلم بريطانيا بمطالب العرب المشروعة ، فقد جاء في إحدى المقالات التي أرخت لهذا الحدث واصفة ما قام به الفلسطينيون : " فأجمعوا أمرهم على إعلان الاعتصام النهائي ووقف حركة البلاد كلها ولو أدى الأمر إلى موت العرب جوعا وذلك إلى أن ترضخ إنكلترا لتغيير سياستها اليهودية في فلسطين فتامر بوقف الهجرة الصهيونية وتعلن تحجير بيع الأراضي العربية لليهود ... " (التحرير، فلسطين، 1936).

فيما جاء في مقال آخر أنه لا بد من مجابهة العدو بالقوة لإنقاذ فلسطين لأن بريطانيا لن ترضخ لمطالب العرب ، كما حاولت الجريدة أيضا كذلك لفت أنظار المسلمين الجزائريين و التأثير على نفوسهم حتى يقفون إلى جانب إخوانهم المنكوبين وذلك بتصوير الصراع القائم في فلسطين في صورة ألم وحزن وتحسر جراء الأساليب الوحشية التي استعملها الإنجليز وتحالفه مع اليهود لسحق هذه الثورة ، وأظهرت للجزائريين مدى الأذى الذي يخيم على الفلسطينيين جراء إهانة العروبة وتخريب ديار المسلمين ، وهدم مدنهم واستعبادهم ودعت كل العرب والمسلمين إلى ضرورة الوقوف إلى جانب فلسطين لإنقاذها من المؤامرة، هذا وقد أشادت الجمعية بجهاد وتضحيات الشعب الفلسطيني في هذه الثورة في سبيل حريته واستقلاله ، كما أطلعت معظم التغطيات الجزائرية على ما رافق هذا الإضراب من بلاء ومحن وإرهاق ، وفي سياق تحليلها للوقائع فقد رأت أنه لو كان الفلسطينيون ليسوا بعرب مسلمين لنالوا إعجاب العالم وعطفه ومساعدته بعد هذا الإضراب لكنهم عرب مسلمين . كما نددت بمكائد الإنجليز والأعيان بعدما نجحوا في إيقاف الثورة بناءً على نداء لملوك العرب (التحرير، فلسطين، 1936).

3. موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من مشاريع تقسيم فلسطين:

أ- موقفها من تقسيم (1937م):

عقب إصدار لجنة بيل لمشروع تقسيم فلسطين لسنة (1937م) أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خطورة هذا التقسيم فكان له ردود أفعال قوية في أوساط الجزائريين ، خاصة علماءها وعلى رأسهم جمعية العلماء المسلمين بكل وسائل كفاحها ، ونظموا إجتماعات خاصة لمناقشة القضية الفلسطينية و إظهار تضامنهم معها. كما ظهرت بينهم مبادرات عديدة لتأسيس لجان إغاثة فلسطين قامت بجمع الأموال ودعت من خلال لقاءاتها الجماهيرية إلى ضرورة دعم المجاهدين الفلسطينيين مادياً وبشرياً ، ومن أمثلة ما كُتب حول قضية التقسيم ما كتبه " أحمد توفيق المدني" استنكاراً لهذا المشروع ، و عمد إلى تحذير العرب والمسلمين منه وأن الخطر الداهم الذي يهدد العرب في كيانهم وفي حياتهم وفي وحدتهم هو خطر فلسطين فيما دعا الشيخ الطيب العقبي العرب إلى وجوب مؤازرة إخوانهم الفلسطينيين لمقاومة المشروع البريطاني ، أما "توفيق المدني" فقد حلل أهداف هذا المشروع وأبعاده الاستعمارية التي تتوخى تهويد فلسطين بأكملها ، ثم وجه اللوم إلى ملوك وحكام العرب وحملهم المسؤولية في إخفاق القضية كونهم وراء إيقاف ثورة 1936م (المدني ا.، 2009، الصفحات 258 - 261) .

و أضاف قائلاً: "إن الحال لا يكمن في الاحتجاجات الكلامية فحسب بل لابد من استعمال القوة ، من قبل جميع المسلمين مشرقاً ومغرباً كوسيلة فعالة لدرح أعداء فلسطين وإنقاذها" (المدني ا.، 2009، الصفحات 297 - 298).

هذا وقد كانت آراء زميله الشيخ "الطيب العقبي" في الاتجاه نفسه حيث كتب في مقال له بعنوان "لبيك فلسطين فما أنت لأهلك فقط ولكنك للعرب كلهم وللمسلمين أجمعين" عبر فيه عن انفعاله الشديد وإحساسه بالكارثة التي حلت بالقطر جراء مشروع التقسيم ، داعياً العرب إلى مقاومته فهي كارثة عامة للعرب وفلسطين فحسب (العقبي، 1937، الصفحات 13 - 15) ، ووجه العقبي سهام الانتقاد لعصبة الأمم محملاً إياها مسؤولية مأساة فلسطين من خلال وقوفها لجانب سياسة الانتداب البريطاني ، كما أشاد بمقاومة الشعب الفلسطيني في ثورة 1936م ، وأشجذ همم المجاهدين في سبيل الحرية.

هذا وقد أرسلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برقية شديدة اللهجة إلى وزير خارجية

فرنسا كما نشرت الجمعية بيانا صادر عن اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي المنعقد في (29 أوت 1937 م) نشرته في جريدة البصائر احتجت فيه على التقسيم. وأعلنت باسم المؤتمر الإسلامي الجزائري تضامن المسلمين بصفة متينة مع إخوانهم الذين يحاول الاستعمار الإنجليزي أن يخرجهم من بلادهم و يسلب ميراثهم التاريخي، كما طالبت قادة العالم التدخل في هذه القضية لدى الهيئات المسؤولة لدى جمعية الأمم ، بهدف الحفاظ على وحدة فلسطين (l'écho) (التحرير l'Association des Oulémas a tenu son Assemblé générale, 1937, p. 12)

كما نشرت الجمعية بيانا لاحتجاج شباب المؤتمر الإسلامي الجزائري ، على مشروع التقسيم من خلال برقية "الحاج أمين الحسيني" رئيس اللجنة العربية العليا لفلسطين بالقاهرة . و من خلالها أكد شباب المؤتمر استنكارهم واحتجاجهم على مشروع التقسيم وتأييدهم للشعب الفلسطيني في كفاحه.

وقد عرّف "توفيق المدني" خلفية هذا التقسيم فكتب في الشهاب قائلاً: " إن القلوب لتنفطر والأنفس لتتقطع لما هو جار بفلسطين البائسة التعسة وما يريده لها القوم من تمزيق الأوصال وتقطيع البلاد وتثبيت قدم الصهيونية بصفة دائمة مستمرة ... فليكثر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها عن أنيابهم لإنكلترا وليبرهنوا أنهم قوة فعالة متضامنة.. (المدني ا. ت(311 - 310, pp. 2009, ..)

وقد شارك كذلك أحد كبار شعراء الجمعية وهو الشاعر محمد العيد آل خليفة بأبياته التي تبث روح العروبة والارتباط بفلسطين في نفوس الجزائريين حيث رد على هذا التقسيم قائلاً:

يا قسمة القدس انت ضيزى ...*... لم يعدل القاسمون فيك
مضوا على الحيف لم يبالوا ...*... بما جرى من دم سفيك
القدس للعرب من زمان ...*... لن يقبلوا فيه من شريك
قد سامه الأجنبي خسفا ...*... وهد من ركنه السميكا
إلى أن يقول :

أهكذا تفصل القضايا ...*... بحكمها لجنة المليك؟
قد دل طغيان انكلترا ...*... على فناء لها وشيك (خليفة، 1937)

ب- موقفها من مؤتمر لندن والكتاب الأبيض (1939م):

عقد هذا المؤتمر ما بين (27 فيفري إلى 01 مارس 1939م) بين العرب واليهود وبريطانيا بعد أن تراجعت بريطانيا عن تقسيم (1937م)، فبادرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال مقال لها في جريدة الشهاب أنه في إبداء موقفها منه ورأت بأنه و لنجاح المؤتمر لابد من تحقيق المطالب التي أجمع عليها العرب وهي :

- إعلان وقف الهجرة اليهودية .
- منع بيع الأراضي لليهود .
- تشكيل حكومة وطنية .
- اعتبار الأقلية اليهودية المقيمة بفلسطين أقلية وطنية تنال سائر حقوق الأقليات (التحرير، فلسطين، 1938، الصفحات 164 - 166)

وعند انعقاد المؤتمر أشادت بأهمية تمثيل العرب بوفد واحد ما يجعلهم في موقع قوة في مفاوضاتهم مع الإنجليز، خاصة الاجتماع التمهيدي الذي استبشرت به جمعية العلماء حيث عقد اجتماع بين العرب في القاهرة في (17 جانفي 1939م)، واتفق أعضاءه على وضع خطة عمل للدفاع عن القضية الفلسطينية، وبعد انتهاء المؤتمر و فشله في تحقيق أي مطالب تنصف العرب والفلسطينيين، جاء في الشهاب مقال يحلل أسباب الفشل والتي كان على رأسها تلك المقترحات البريطانية التي لا تخلوا من تحيز واضح لليهود، وأيدت المجلة موقف العرب الرافض لهذه المقترحات فاليهود تعنتوا في آراءهم رغم أن مطالب العرب شرعية وعادلة (التحرير، فلسطين والظلم الكبير، 1939).

وبعد إصدار بريطانيا للكتاب الأبيض (07 جويلية 1939م) الذي يتضمن سياستها الجديدة والنهائية جاء مقال آخر في جريدة الشهاب منددا بهذا الكتاب ووصفه بأنه نقمة حلت على بلاد فلسطين و الفلسطينيين فقد ظلم قضيتهم وخيب آمالهم ولم يرفع عنهم الظلم ، فهاهو يكرس السلطة البريطانية على البلاد خلال الفترة الإنتقالية المحددة ب(10سنوات)، كما شجب المقال قضية السماح لدخول (75000 يهودي) آخر على مدى (5 سنوات) مما سيزيد من معاناة الفلسطينيين (التحرير، فلسطين والظلم الكبير، 1939) الشهاب ج5، كما إستنكرت الجمعية ومن خلال المقال نفسه عزم بريطانيا على تطبيق الكتاب الأبيض ، ودعت العرب إلى الإتحاد بينهم لإنقاذ فلسطين.

ج- موقفها من تقسيم (1947م):

تأكدت مواقف الجمعية من هذا التقسيم عبر تصريحات وكتابات العديد من زعمائها فقد إعتبر " الشيخ محمد البشير الإبراهيمي " أن التصويت في مجلس الأمن على مشروع التقسيم تحدياً للعرب والمسلمين ولدينهم (الإبراهيمي، 1948) ، أما " أحمد توفيق المدني " فقد وجد في أن هذا التقسيم ما يعاكس نظرية العرب ويصادم مصالحهم ويتنافى مع حقوقهم ، كما عده فاصلاً بين الاستسلام وعهد النضال والجهاد وأن هذا المشروع الأممي استهانة بالعرب واحتقار لشعورهم. وانتقد مجلس الأمن الذي أصبح في نظره وسيلة في يد الدول الاستعمارية تستخدمه لتحقيق أهدافها (المدني أ.، منبر السياسة العالمية، 1948).

و مع تزايد الخطر الصهيوني بعد الحرب العالمية الثانية وتأكيد السعي البريطاني للتنازل لليهود عن فلسطين، تزايد تفاعل الجمعية مع القضية لدرجة أنه في (سبتمبر 1947م) كان علماء الجمعية يتنافسون فيما بينهم للدفاع عن القضية الفلسطينية. وكان التنافس على أشده بين " الشيخ محمد البشير الإبراهيمي " و الشيخ الطيب العقبي " بجمع أكبر عدد من الجزائريين حولهما ، وكان هذا التنافس تنافس تآزر وتكاتف بينهما في سبيل القضية الفلسطينية. فقد اعتبر «الإبراهيمي " مشروع تقسيم (1947 م) مشروعاً خطيراً وبأنه يمهّد لأكبر قيام لمسخة يهودية على أبواب الحجاز وتخوم طور سيناء ويفصل بين العالم الإسلامي المشرقي ومصر.

وقد طالب ووجه نداء إلى جميع العرب للذود عن فلسطين باعتبارها ملكاً للعرب أجمعين، كما رأى " الإبراهيمي " أن مشروع التقسيم هذا تأديباً إلهياً للعرب لتنقية همهم من الوهن والكسل، وكانت تحتاج إلى أحداث كبيرة ترجحها رجاء لتنفض عنها الخمول ، ودعا إلى مقاومة الصهيونية من طرف العرب لأن خطرها لا يتوقف على فلسطين فحسب بل على الوطن العربي كله ، لذا لابد من النضال والنصر والحسم ووحدة الرأي بين قادة العرب ونبذ الخلافات بينهم (الإبراهيمي، 1948) .

وفي إطار الحملات المناهضة لمشروع التقسيم (1947م) من طرف لجنة التحقيق الأممية ويهدف تدويل القضية الفلسطينية قررت الجامعة العربية ووجهت نداءً بجعل يوم (الجمعة 03 أكتوبر 1947م) يوماً لفلسطين في العالم لإظهار عواطف المسلمين تجاه القضية الفلسطينية ، فلبى الشعب الجزائري على غرار الشعوب الإسلامية الأخرى هذا النداء، فكان

ذلك اليوم يوما حزينا غابت فيه الموسيقى و الألعاب في المقاهي الشعبية ، ورفع فيه الجزائريون دعواتهم إلى الله لنصرة فلسطين في الجامع الجديد بعد صلاة الجمعة.

هذا ولم تفوت جمعية العلماء المسلمين هذا الحدث الهام فقد تم إحياء هذا اليوم التاريخي في نادي الترقى في العاصمة ، فقام العلماء والخطباء الجزائريون بفضح الاعمال الإجرامية الصهيونية ، وألقيت دروس حول القضية الفلسطينية تم الدعوة فيها إلى التضامن مع الشعب الفلسطيني، كما إعتبر " الشيخ الطيب العقبي " هذا اليوم بيوم الرابطة الإسلامية والوحدة العربية ويوم للمشرق المسلم العربي والمغرب المسلم العربي .

4. موقف جمعية العلماء من إعلان قيام الكيان اليهودي والحرب العربية

الإسرائيلية :

في (15 ماي 1948م) وبعد إعلان بريطانيا عن إنهاء انتدابها وخروجها من فلسطين ، وبتخطيط مسبق و تواطئ مفضوح مع القوى الإمبريالية آنذاك وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، أعلن اليهود عن قيام كيانهم المصطنع تحت إسم "إسرائيل " فزحفت عليها الجيوش العربية وهبوا لإنقاذ فلسطين رغم صعوبة الوضع العربي آنذاك بعيد الحرب العالمية الأولى ووجود جزء كبير من البلاد العربية خاصة مغربا تحت الاحتلال الأوروبي ، وهي الأحداث التي أشجت العرب والمسلمين بالعالم أجمع ، وقد كانت مواقف جمعية العلماء المسلمين من هذه الواقعة واضحة جلية ، فقد باركت تلك الجهود رغم صعوبتها وكانت في مقدمة الداعمين بما أتيح لها إلى جانب الفلسطينيين ماديا ومعنويا وسياسيا وإعلاميا (التحرير، فلسطين، 1948)، وقد أجمعت هذه الصحف على أن هذه الحرب ربما ستكون طويلة وأن النصر فيها سيكون سجالا وعليه فلا بد للدول العربية من مضاعفة جهودهم لأن اليهود يعملون و لا يتكلمون ، وأنذرت العرب من التخاذل و التقاعس ،وقد اندهش "أحمد توفيق المدني " من النصر العربي في بادئ الأمر وقال أنه جعل العالم برمته ، يعترف بأن العروبة قد اجتمعت وعادت و أصبحت أمرا واقعا (المدني أ.، منبر السياسة العالمية، 1948). هذا ولم تقتصر مواقف الجمعية على الكتابة ضمن منابر الصحف بل تحركت ميدانيا عندما سعت لتشكيل هيئة عليا لإعانة فلسطين في (14 جوان 1948م) بالتنسيق مع "الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" سعت من خلالها إلى مساندة ودعم الشعب الفلسطيني دبلوماسيا وماديا ومعنويا.

موقفها من إعلان الهدنة العربية- الإسرائيلية 1948م:

بعد أن أعلنت هذه الهدنة والتي كانت بمثابة هزيمة للعرب ، كتب " أحمد توفيق المدني " واصفا إياها بأنها ليست في صالح العرب بل خديعة غربية ليلتقط فيها اليهود أنفاسهم، لأنها جاءت في الوقت الذي مالت فيه الكفة لصالحهم و انهارت فيه المقاومة اليهودية ، وأن هذه الهدنة تتيح لليهود إعادة تنظيم قواتهم و استيراد الأسلحة ، هذا واستنكرت الجمعية الموقف الدولي الداعم لليهود من جهة و العدائي للعرب ، من خلال تلك القرارات التي إتخذتها كل من أمريكا والاتحاد السوفياتي في مجلس الأمن عندما رفض العرب الاستجابة لوقف القتال في بادئ الامر ، وقد شجب " أحمد توفيق المدني " مقترحات الوسيط الأممي "برنادوت " بوصفها مناقضة تماما للمطالب العربية ، ولأنها تعترف بوجود دولة إسرائيل (محمد أ.، منبر السياسة العالمية، 1948) ، كما لم يقف مكتوف الأيدي فأفرغ ما بقلبه عن طريق قلمه ففضح مكيدة اليهود عندما استوردوا الأسلحة خلال مرحلة الهدنة ، عندما تم إيقاف سفينة " جابوتنسكي " وهي تُدخّلُ الأسلحة لليهود من الولايات المتحدة الأمريكية مع الرجال والعتاد المتطور وندد بهذا العمل ، كما تعرض إلى خرق اليهود لبند الهدنة إذ تمادوا واستولوا على قرى فلسطينية وهجروا أهلها بعدما سلبوهم كل ما يملكون ، وإغتبطت برفض الجامعة العربية لمقترحات " برنادوت " لأنها غير منطقية.

وبعد استئناف القتال مرة أخرى في (9 جويلية 1948م) ناشد الشيخ محمد البشير الابراهيمي العرب لحشد قواتهم الى فلسطين قائلا : "...تعالوا يا أصحاب الضمائر المنفصلة إلى كلمة سواء بيننا و بين اليهود تعالوا نقامرکم مقامرة لا يقترحها إلا عربي و لا يقدم عليها إلا حرُّ أبي ولكنها مقامرة تفض النزاع الذي أعياكم أمره وراع العالم شره ...أحشدوا إلى فلسطين جيشا من منبت الشرق وأغرس الغرب ...ثم نفوض الى الجيشين حل المشكلة بالموت في ميقات يوم معلوم .." (الإبراهيمي، 1948)

وبعد استئناف القتال وتدخل مجلس الأمن لإحلال هدنة أخرى في (18 جويلية) عبر "توفيق المدني " عن شعوره بخيبة أمله ومرارته إزاء ما يحدث في هذه الحرب خصوصا مع الدعم الغربي لليهود على كل الأصعدة ، ومما زاد الطين بلة قبول العرب للهدنة ثانية وهو الأمر الذي كان شديد الوقع على "توفيق المدني " وباقي الأمة الإسلامية ، كما كشف عن خرق اليهود للهدنة ثانية واستوردوا الأسلحة والعتاد (محمد أ.، منبر السياسة العالمية، 1948)

هذا وقد فاضت مشاعر أعضاء جمعية العلماء كذلك بأشعار تقوي العزائم وتشحذ همم العرب فقال الشاعر " الشيخ أحمد سحنون" منددا بذلك التقسيم الجائر:
أموطئ أقدام النبيين والرسل*** وموطن نسل الوعي بورك من نسل
فذاك العدى لا تقبلي قسمة العدى*** وللموت سيرى لا تبيتي على ذل
ولا تحفلي بالناس إن جار حكمهم*** عليك فإن الله يحكم بالعدل
وخلفك من بني العرب رابض*** ليبعد عن أرض الهدى عابدي العجل
أما الشيخ "أبي اليقظان" فقد دعا الجزائريين أن يهبوا لنصرة فلسطين قائلا:
أبناء الجزائر أين أنتم*** من العرب الكماة العمالينا
بنو صهيون حولكم أقاموا*** ميادين الكفاح يمررونا
على مرأى ومسمع كل حي*** صناديق التبرع يملأونا
وأنتم حولهم بين الملاهي*** جهارا تفرحون وتمرحونا
هل من نجدة تمحو الخطايا*** وترفع رأسكم في العالمينا (ناصر، المقالة الصحفية، 1978،
صفحة 141).

الخاتمة :

هكذا يتضح لنا أنه ورغم كون الجزائر كانت تخضع لسيطرة استعمارية مقبلة ، إلا أن نخبتها الإصلاحية ممثلة في جمعية العلماء المسلمين ورجالها لم تكن بعيدة عن القضايا القومية والإسلامية ، حيث اعتبرت بأن نضالها ضد الاستعمار وإن كان في الجزائر واجبا ومستمرا ، فإن محاربتة في بقية العالم العربي والإسلامي واجب قومي وديني لا يقل أهمية ولا رجعة فيه .

وهذا ما يفسر نشاط الجزائريين الحميم من خلال الصحافة المكتوبة والمشاركة في الأحزاب والجمعيات العربية المناهضة للاحتلال الصهيوني لفلسطين والمساهمة في الكثير من حملات التبرع والتطوع لصالح فلسطين رغم ما كانت الجزائر تعانيه من إختلال بغيض ، وما يعانيه الجزائريون من فقر وعوز وتشريد ، وما كان يعانيه التيار الإصلاحي وصحافته ورجالته من تضيق ومصادرة.

المراجع:

- .Paris: sind bad .*Maghreb et Palestine* .(1971) .jean paul Changlland
- .Paris: librairie orientliste .*Ibn Badis commentateur du Coran* .(1971) .Merad Ali
- أبو محمد .(1948) .منبر السياسة العالمية. *البصائر*، 02(42)، 03-04.
- أبو محمد .(1948) .منبر السياسة العالمية. *البصائر*، 02(45)، 09-10.
- أحمد توفيق المدني .(1948) .منبر السياسة العالمية. *البصائر*، 02(33)، 12.
- أحمد توفيق المدني .(1948) .منبر السياسة العالمية. *البصائر*، 22-23.
- احمد توفيق المدني .(2009) .*مذكرات حياة كفاح* (المجلد 02) .الجزائر: دار البصائر.
- التحرير .(اكتوبر، 1935) .فلسطين. *الشهاب*، 10(11).
- التحرير .(1936) .فلسطين. *الشهاب*، 03(12)، 22-23.
- التحرير .(1937) . générale l'Association des Oulémas a tenu son Assemblé .*écho d'Alger* (9913).
- التحرير .(مارس، 1938) .فلسطين. *الشهاب*، 05(15).
- التحرير .(1939) .فلسطين والظلم الكبير. *الشهاب*، 05(15)، 5-7.
- التحرير .(1948) .فلسطين. *البصائر*، 02(36)، 15.
- الطيب العقبي .(02، 1937) . لبيك فلسطين فما انت لأهلك فقط. *البصائر*، 02(78).
- باعزبز بن عمر .(2008) . من ذكرياتي عن الامامين الرئيسين عبد الحميد بن باد ومحمد البشير الابراهيمى . الجزائر: منشورات الخبر.
- دراجي محمد .(2009) . *الشيخ البشير الابراهيمى في المشرق العرب* . الجزائر: مؤسسة عالم الأفكار.

- صالح خرفي. (1977). الجزائر والأصالة الثورية. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- محمد البشير إبراهيمي. (1948). ونعود غلى فلسطين. البصائر، 02 (21)، 4 - 9.
- محمد العيد آل خليفة. (أوت، 1937). حول تقسيم فلسطين. البصائر، 02 (79)، صفحة 05.
- محمد ناصر. (مار، 1977). فلسطين وأقلام جزائرية. الثقافة، الصفحات 14 - 15.
- محمد ناصر. (1978). المقالة الصحفية (المجلد 02). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- محمد ناصر. (1983). أبو اليقضان وجهاد الكلمة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.